

جامعة سبها

كلية الآداب

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

بحث مقدم لاستكمال درجة الليسانس في اللغة العربية

بعنوان

# الحكمة في شعر أبي العلاء المعري

إعداد

الطالبة الساكتة محمد حسن

إشراف

الأستاذة : فاطمة دين حمد الجهيمي

O

( وَأَنْزَلُ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ  
تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ  
عَظِيمًا )

ω

البقرة : 269

## الاهداء

أهدي ثمار جهدي إلى كل من كانت  
لهم لمسة في تشجيعي ودفعي إلى  
سلم العلم والمعرفة وإلى كل من  
أسهم في نجاحي في مشوار دراستي  
- إلى روحه في رضوان الله تعالى  
من شقى لأنعم بالراحة والهناء حتى  
أصل إلى بر الأمان  
إلى روح والدي العزيز  
إلى روح الصدر الحنون والحضن  
الداقي والملاذ الآمن التي أفقدها  
كثيرا  
إلى روح أمي العزيزة  
- إلى جميع إخوتي وأخواتي  
وأساتذتي الأفاضل وجميع الأصدقاء  
والأحباب

## كلمة الشكر

يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم معي وأعانني على كتابة هذا البحث المتواضع ، وأخص منهم المشرف على هذا البحث الأستاذة : فاطمة دين حمد التي كان لإرشاداتها وتوجيهاتها الأثر الكبير في إنجاز هذا البحث فلها مني جزيل العرفان والامتنان أسأل الله أن يمتعها بالصحة والعافية وجزاها الله عني خير الجزاء كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الفضيل لكل من مد يد العون لإضاءة هذا البحث، بنصح أو تقويم أو توجيه أو معاورة أو إرشاد أو أعارني كتاباً) وأخص بالذكر جميع أساتذتي الأفاضل بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية أقول لكل هؤلاء: جزاكم الله عني خير الجزاء ، وجعل ما قدمتموه لي في ميزان حسناتكم .

**المقدمة :-**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين  
أما بعد

فيعد شعر الحكمة من أشهر الأشعار انتشاراً بين العرب قديماً؛ لِماله من أهمية في توجيه السلوك الإنساني، والحث على مكارم الأخلاق، وقد اشتهر كثير من الشعراء في نظم شعر الحكمة ابتداء من الشعر الجاهلي؛ فنجد أشهر الشعراء الذين برزوا في هذا الفن في العصر الجاهلي زهير بن أبي سلمى؛ فالتأمل في معلقة زهير يجد فيها كثيراً من الحكم التي سارت بها الركبان وتناقلتها الألسن منها :-

**ومن يجعل المعروف في غير أهله... يكن حمده ذماً عليه ويندم**

وغيره من الشعراء الجاهليين، وإذا تحدثنا عن العصور اللاحقة، وبالتحديد في العصر العباسي نجد كثيراً من الشعراء الذين نظموا الأبيات الرائعة في الحكمة ولعل أشهرهم على الإطلاق شاعر المعرفة أبو علاء المعري الفيلسوف المبدع والحكيم الذي سالت الحكمة على لسانه؛ فصاغ الحياة حكمة أصبحت نبراساً يهتدى بها من جاء بعده .

ولا يخفى على أحد معاناة أبي العلاء المعري بسبب فقد بصره وهو صغير، الأمر الذي جعله يصرف جل شعره الى شكوى الزمان، وتسطير الحكم التي يغلب عليها طابع الفلسفة أحياناً؛ فهو يقول على نفسه واصفاً مأساته ومعاناته

أراني في الثلاثة من حبوس . فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري وحبس بيبي وكون النفس في الجسد الخبيث

كل ذلك جعل من أبي العلاء الشاعر الحكيم الذي اختبر الدنيا وصرورها، وعاش الحياة وتقلباتها .

وانطلاقاً من ذلك فقد وقع اختياري على دراسة موضوع يتعلق بالحكمة في شعر أبي علاء المعري فكان العنوان .....

حيث سيتم تناول الأبيات التي تتحدث عن الحكمة في شعر أبي العلاء . وشرحها والتعليق عليها، وبيان مواطن الجمال والابداع فيها، ومدى تأثيرها على النفس البشرية، ووصفها لواقع الحياة، وقد اقتضت منهجية البحث تقسيمه على فصلين وكل فصل يتضمن .مبحثين وذلك على النحو التالي :-

الفصل الأول .... أبو العلاء المعري حياته وشعره وأعماله الأدبية

المبحث الأول: اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته

المبحث الثاني: حياته العلمية وشاعريته وشخصيته ومؤلفاته ووفاته

الفصل الثاني: الحكمة عند أبي العلاء المعري وتأثيرها على توجيه السلوك البشري

تمهيد: تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً

المبحث الأول: الحكمة في العصر الجاهلي، ومصادر شعر الحكمة عند أبي العلاء

المبحث الثاني: أبيات الحكمة عند أبي العلاء

ثم الخاتمة والفهارس الفنية .

كما وأعتذر عن كل هفوة أو تقصير فالكمال لله وحده . وحسبي أني حاولت واجتهدت.

إن تجد عيباً فسد الخلل... جل من لا عيب فيه وعلا

## الفصل الأول

أبو العلاء المعري حياته وشعره وأعماله الأدبية

المبحث الأول: اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته وحياته العلمية

وشاعريته

المبحث الثاني: شخصيته ومؤلفاته ووفاته



## المبحث الأول

اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته وحياته العلمية وشاعريته

اسمه ولقبه وكنيته

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعروف بالمعري نسبة الى معرة النعمان وهي بلدة صغيرة بالشام، وهي منسوبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه<sup>1</sup>.

كني بأبي علاء، ولكنه كره هذه الكنية أيضاً؛ لأنه رأى أن من الظلم أن يضاف إلى التصعيد والعلو، وإنما العدل أن يضاف إلى السقوط والهبوط.

وأما اللقب الذي اختاره لنفسه، وأحبه كثيراً فهو: (رهين المحبسين)، وأراد بالمحبسين منزله الذي احتجب فيه، وذهاب بصره الذي منعه من مشاهدة الأشياء.

ولم يكتف رحمه الله بهذين السجنين؛ فقد أضاف إليهما سجناً ثالثاً، وهو سجن نفسه الطاهرة في جسده الخبيث على نحو ما جاء في شعره حيث يقول :-

أراني في الثلاثة من سُجوني      فلا تسأل عن الخبرِ النبيث<sup>2</sup>

ولد أبو العلاء سنة 363هـ في المعرة، وفيها نشأ يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول. وقد ولد مبصراً كما يولد سائر البشر، ولكنه ابتلى بصدمة فادحة في الرابعة من عمره حيث أصيب بمرض الجدري<sup>3</sup>؛ فتشوه وجهه، وانطفأ بصره على أنه لم يفقد بصره تماماً إلا بعد سنوات من مرضه.

ولكننا مع ذلك نراه حامداً ربه. جامعاً بين الطرفة والطرافة في لسانه؛ فيقول كما روي: "أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، وقد صنع لي الخير وأحسن بي".

نشأ أبو العلاء في بيت صغير من بيوت معرة النعمان، وقد عرف هذا البيت بالعلم والفضل والأدب<sup>4</sup>.

## حياته العلمية

<sup>1</sup> - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، 116/1

<sup>2</sup> - شرح اللزوميات، أبو العلاء المعري، تح: سيدة حامد، منير المدني، زينب القوصي، وفاء الأعصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 297/1

<sup>3</sup> - ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط5، 2002، 157/1

<sup>4</sup> - سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1996، 24/18.

تلقى أبو العلاء العلم في بداية حياته في محيطه الأسري؛ فجدّه سليمان بن أحمد قاضي المعرة كان أديباً شاعراً، وكذلك أبوه عبدالله حيث تلقى علم النحو عنه، وعمه أبوبكر بن محمد؛ فقرأ أبو العلاء القرآن الكريم على أئمة من شيوخ القراءات، وسمع الحديث من أهله وسمع عن جماعة من أصحاب (ابن خالويه)؛ فظهر من تفوقه ونجابته، وفطنته ما جعل (والده) يمضي به الى حلب؛ حيث أخواله؛ إذ تلقى النحو عن إمام العربية في حلب محمد بن عبدالله بن سعد النحوي. فأقبل على العلم يغترف منه في بيئة سخية بأسباب المعرفة، والفكر؛ فذكاؤه، واجتهاده جعله ينهل العلم من حلب، وطرابلس، والشام، واللاذقية، وانطاكية؛ حيث أخذ يطلع على خزائن البلاد الشامية بكل ما فيها من علم وفكر، وكان أبو العلاء يحفظ عدة كتب في أيام قلائل لماله من سعة الحفظ والذكاء العجيبين<sup>1</sup>.

### شاعرية أبي العلاء :-

الشعر من العواطف التي تملأ نفس الشاعر تجاه ماحوله من التجارب التي خاضها ويعبر عنها بشكل فني وهذه العواطف تختلف من حيث الضعف، والقوة من شاعر الى شاعر؛ فتظهر قوته في الجميع بين المشاعر الحقيقية الصادقة، وتجربته الواقعية وبين قوة البناء، ودقة اللفظ، وجمال التشبيه، وخفة الوزن، والقافية المناسبة، وقد ترد المعاني والعواطف الحقيقية في بناء ضعف؛ فلا تجد لها صدى في قلوب السامعين، أو تأتي في بناء معقد ممتليء الحواشي، فلا يناله السامع إلا بعد عنت ومشقة، ولا يكشف عن خفايا نفسية، ولا يضعف لمسيره البشرية شيئاً، وهذا شأن أصحاب الصنعة الزخرفية

ويروى أن أبا العلاء قد سبق عصره كثيراً. بل ومن جاء بعده في أبعاد قضايا الشعرية، وتجاربه الإنسانية، ولم يكتف أبو العلاء بالشكل التقليدي، والاغراق في البديع وأنواعه، بل جمع بين المعاني العميقة من جهة، وبين البحث في جوهر الإنسان وحقائق الكون من جهة أخرى.

ويقول العقاد في ذلك: "واعلم أن الشاعر العظيم من يشعر بجوهر الأشياء لا بعددها ويحصى أشكالها وأنواعها، وأن ليست مزيه الشاعر أن يقول لك أين الشيء، وإنما مزيته أن يقول ما هو، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به، وليس هم الناس من القصيدة أن يتسابقوا في أشواط

<sup>1</sup> - وفيات الأعيان، 113/1

البصر والسمع، وإنما همهم أن يتعاطفوا، أو يودع إحساسهم وأطبائعهم في نفس إخوانهم زيادة ما  
رآه وما سمعه، وخالصة ما استطاعه أو كرهه<sup>1</sup> (1).

---

1 -الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي، المملكة  
المتحدة، 2017، ص34

## المبحث الثاني

شخصيته ومؤلفاته ووفاته

## شخصية أبي العلاء:-

كان أبو العلاء دميم الشكل، قصير القامة، نحيف الجسم ضعيف، واسع الجبهة مشوه الوجه بأثار الجدري والعمى، غير أن ذلك الثوب الرث كان يحوي نفساً كبيرة؛ فلقد كان ذكياً ذكاء شديداً سريع الخاطر دقيق الحس حتى ليروي المصيبي الشاعر أنه كان يلعب الشطرنج والنرد<sup>1</sup>.

وكان وافر البضاعة من العلم، حتى قال التبريزي:- ما اعرف أن العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري

وقد جمع إلى توقد الذهن قوة الحافظة، فكان يحفظ ما يمر بسمعه، وروى أنه كان يحفظ المحكم والمخصص، وأنه أملاهما من صدره، وقيل أنه كان يحفظ ما يسمعه بين رجلين بالفارسية، وكان يقول:- ما سمعت شيئاً إلا حفظته و ما حفظت شيئاً فنسيته .

وكان المعري رقيق القلب دقيق الشعور، سريع الانفعال، شديد الحياء، وافر الحرص على سمعته، فقد ذكر القفطي أنه كان له سرداب إذا أراد الأكل نزل إليه وأكل مستتراً، و كان قد نزل إليه يوماً وأكل شيئاً من رب أو دبس ونقط على صدره منه يسير وهولا يشعر به؛ فلما جلس للقراءة لمح بعض الطلبة فقال:- ياسيدي أكلت دبساً؛ فاسرع بيده إلى صدره ومسحه وقال: نعم، لعن الله النهم<sup>2</sup>.

وقد جعله مزاجه العصبي متقلباً كثير الشكوك يميل إلى التشاؤم، والعزلة واحتقار الدنيا .

وكان طعامه العدس والتين، ولا يمد يده الى أصناف اللحوم، والصيد، والبيض واللبن، والعسل، وحيوان البحر، وكان مواظباً على الصلاة كثير الحرص عليها .

ويعلل الدكتور طه حسين زهد أبي علاء المعري بقوله:- فالذين يظنون به الزهد مخطئون، فليس هو زاهد، ولكن رجل عاجز عن تحقيق آماله، راض عن هذه الآمال فامتنت عنه ولم تدعن له .ولهذا اتسمت شخصيته باليأس والتشاؤم .

## أهم مؤلفات أبو العلاء المعري الشعرية:-

<sup>1</sup> -إنباه الرواة على أنباه الرواة أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر

العربي، القاهرة، ط1، 1987. 234/2

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، 235/2

## 1-سقط الزند :-

هو ديوان شعر يحوي أكثر من ثلاثة آلاف بيت ،نظمه أبو العلاء في صباه وشبابه وسماه بذلك؛ لأن السقط أول نار تخرج من الزند؛ فشبه شعره الأول به ،رتبه الشاعر نفسه ونظمه على طريقة المتنبي؛ إذ إنه كان يتعصب له تعصباً شديداً ، فهو يعتد بالتصنع لألفاظ الثقافات المختلفة .

وقد شرح شروحاتاً كثيرة أو لها شرح لأبي العلاء نفسه، ثم شرحه آخرون .

يشتمل ديوان سقط الزند على المدح ، والفخر ، والرثاء ، والوصف، والنسيب، وذم الدهر والشكوى منه .

ومدح المعري تقليدي جار فيه على من سبقه ، وهو قسمان :-

الأول: رسمي ،خص به الأمراء، و أرباب السلطان

الثاني: من باب الإخوانيات .

أما في الفخر فله بعض القصائد أشهرها اثنتان أولاً هما همزية مطلعها :-

وَرَائِي أَمَامٌ وَالْأَمَامُ وَرَاءُ      إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِي الْكُبْرَاءُ

وثانيهما لامية المقطع :-

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ      عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ

وأما في الرثاء فله سبع قصائد ،رثى فيها أمه، وأباه ،وأبا حمزة الفقيه ، وغيرهم ، وأجود مرثيه داليتها الشهيرة ، ومطلعها:-

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي      نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتَمُ شَادِ

فقد جمعت هذه القصيدة صدق اللوعة ، وعمق الفكر، وكانت مزيجاً من عاطفة خفاقة تتغلغل الى أعماق النفس وحكمة عميقة تتجلى خلالها قيمة الحياة بإزاء الموت .

- أما الوصف فيرتكز على الأوصاف المعنوية كالحزن، والألم، والفرح وتعرض لوصف غير المعنويات، ولكن كان متوكئاً على غيره من الشعراء .

- أما وصف الدروع في سقط الزند ، وسميت هذه الأوصاف بالدرعيات أو ضوء السقط ،  
فالشاعر فيها يتفنن في تشبيه الدرع بالغدير مرة ، وبعين الجرادة مرة أخرى وفي ذكر  
بلائها في تتليم السيوف وتحطيم الرماح .

## 2- اللزوميات :-

اللزوميات أو لزوم مالا يلزم هي ديوان شعر كبير مرتب على حروف المعجم بذكر كل حرف  
بوجهه الأربعة من ضم وفتح وكسر وسكون؛ وهذا الديوان يضم بين دفتيه أحد عشر ألف بيت،  
وكله فلسفة واعتبار ونقد للحياة .

يصور اتجاه أبي علاء الفني . وسمي بذلك؛ لأنه التزم قبل الروي حرفاً إذا لم يكن مخللاً بالنظم  
، وهذا النظام لم يلتزمه الناس من قبل، وتمثل اللزوميات حياة أبي العلاء تمثيلاً صادقاً؛ فهي  
تعكس تفكيره، ووجدانه، وخلقه ، وتحوي آراءه التي كان يلقي بها إلى طلبة العلم؛ فقد كان  
المعري شيخ مدرسة يأتي إليه الطلاب من كل حدب وصوب .

ويمكن إيجاز بعض آراء أبي العلاء التي أودعها في ديوان اللزوميات على النحو الآتي:-

### 1- العقل :-

أعلى أبو العلاء شأن العقل فجعله إماماً يرشد إلى الحقيقة ويهتدي به صاحبه .

فيقول في الرد على أهل الباطن :-

يرتجي الناس أن يقوم إمامٌ      ناطقٌ في الكتيبة الخرساء

كذب الظنُّ لا إمام سوى العقل      مشيراً في صبحه والمساء

### 2- الطبيعيات :-

قال المعري مع علماء القدم بالعناصر الأربعة وهي: النار، والماء، والتراب، والهواء ، واضطراب  
في مسألة قدم العالم ، وأثبت القدم حيناً و أنكره حيناً آخر .

وَأَيْسَ إِعْتِقَادِي خُلُودَ النُّجُومِ      وَلَا مَذْهَبِي قَدَمَ الْعَالَمِ

### 3- الماورائيات :-



نرى لأبي العلاء في الأمور التي تخرج عن حدود المحسوس موقفاً لإرادياً يكثر فيه القلق، والاضطراب، والتناقض؛ فهو يؤمن بوجود الله لكنه يعترف بجهله حقيقته تعالى :-

أُنْبِتُ لِي خَالِقًا حَكِيمًا      وَلَسْتُ مِنْ مَعَشَرِ نُفَاهِ

#### 4- الأدبيات أو الفلسفة العملية :-

أدبيات أبي العلاء مبنية على التشاؤم؛ فهو ساخط على الدنيا، وهي في نظره أفرغت الشر على كل ما فيها سواء أ كان حيواناً أم إنساناً :-

قَدْ فَاضَتْ الدُّنْيَا بِأَدْناسِهَا      عَلَيَّ بِرَايَاها وَأَجْناسِها  
وَالشَّرُّ فِي العَالَمِ حَتَّى النَّتِي      مَكْسِبُها مِنْ فَضْلِ عِرْناسِها  
وَكُلُّ حَيٍّ فَوْقَها ظالِمٌ      وَمَا بِها أَظْلَمُ مِنْ ناسِها

#### 3-رسالة الغفران للمعري :-

كتب أبو العلاء هذه الرسالة إلى أديب معاصر له اسمه علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح راداً على رسالة كتبها إليه، سأله فيها عن عدة مسائل تدور حول الأدب والفلسفة، واللغة، والدين وغيرها، وعرف عن ابن القارح بأنه كان طبعه ماكرًا يتوسل بمراسلة عظيم المعرفة إلى الشهرة والذي لاشك فيه هو أن ظل ابن القارح كان يغشى العالم الوجداني لأبي العلاء منذ تأهب لإملاء رسالة الغفران وأن صورة الرجل ظلت ماثلة في خاطره حتى فرغ من الإملاء<sup>1</sup>، الأمر الذي ينم عن تماهياها في بعض الآراء التي تتصل بالأديان والنحل، إذ امتلأت الرسالة بسخرية لاذعة من المعتقدات والأديان .

ويستمد أبو العلاء عناصر قصته من موضوع الغفران في الإسلام ، ومن وصف يوم الحشر، والحساب، والجنة والنار، وموقف الحشر كما وصفه أبو العلاء شديد الهول كثير الزحام، ترى العباد فيه عطاشاً ظامئيين لا يرتون، لا يدخل الجنة منهم إلا من غفر الله ذنبه ،ونال جواز المرور إلى الفردوس؛ فيعب من الحوض عبة لاعطش بعدها ، ثم يعبر الصراط المستقيم .

<sup>1</sup> - جديد رسالة الغفران ، عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطي، ص259

فصاحب الرسالة ليس بالفيلسوف ذي المذهب الفلسفي الواضح، وإنما هو كما قيل فيلسوف بدون فلسفة؛ فلم يعبأ بتحليل الكائنات، بل نظر إليها نظرة الحكيم الذي عاش في جو اضطربت فيه الآراء الفلسفية والعلمية، وتصارعت فيه التيارات المذهبية، والفكرية فراح في نزعته الإسماعيلية، والقرمطية يقيم الخير دستوراً خاصاً، وينشر أفكاراً، ويرسل قولاً في غير بناء ولا تعليل .

### وفاته :-

توفي المعري يوم الجمعة 13 ربيع الأول سنة 449 هـ 21 مايو 1057 بمعة النعمان ، وعمره 87 سنة .فبكاه الشعراء والأدباء، واجتمع على قبره كثير من الأدباء منهم ثمانون شاعراً ، وختمت في أسبوع واحد عند هذا القبر مائتا ختمة<sup>1</sup> ،ومن أبرز من من رثاه تلميذه أبو الحسن بن همام بقوله :-

إن كنت لم ترق الدماء زهادة      فلقد أرقت اليوم من جفني دما  
سيرت ذكرا في البلاد كأنه      مسك مسامعها يضح أو فما  
ونرى الحجيج إذا ارادوا ليلة      ذكراك أوجب فدية من أحراما<sup>2</sup> .

<sup>1</sup> - ينظر : رهين المحبسين ، أبو ابو العلاء المعري، أحمد الطويلي، دار سلامة للنشر والتوزيع ، تونس، 1981، ص14

<sup>2</sup> -وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين بن خلکان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص115.

## الفصل الثاني

الحكمة عند أبي العلاء المعري وتأثيرها على توجيه السلوك  
البشري

تمهيد

تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً

المبحث الأول: الحكمة في العصر الجاهلي، ومصادر شعر الحكمة  
عند أبي العلاء

تمهيد:

الحكمة لغة واصطلاحاً :-

أ- الحكمة لغة :-

حكم يحكم حكماً؛ بينهم؛ أي قضي ، وحكم له حكم عليه، والحكم أيضاً الحكمة من العلم والحكيم العالم، وصاحب الحكمة، وقد حكم بضم الكاف؛ أي صار حكيماً .

قال النمر بن تولب :وابغض بغيضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما<sup>1</sup>

و أصل الحكمة الصنع فهي بمنزلة المنع من الفساد<sup>2</sup>.

وقد عرف الراغب الأصفهاني الحكمة في معجمه بأنها: "إصابة الحق بالعلم والعقل"<sup>3</sup>

ب-الحكمة اصطلاحاً :-

إن التطور الدلالي تفرع إلى جداول كثيرة، وظل مرتبطاً بالعلم والمعرفة والمنع من الفساد ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم<sup>4</sup>

والحكمة هي الكمال الحاصل للنفس الخارج من القوة إلى الفعل بحسب القوانين؛ أي النظرية والعلمية، والحكمة هي خروج النفس الى كمالها الممكن من جانبي العلم والعمل<sup>5</sup>

وقد ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم في كثير من المواضع منها على سبيل المثال:

1- قال تعالى: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة<sup>6</sup>

2- قال تعالى (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي

جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا<sup>1</sup>

---

1 - ديوان النمر بن تولب ،جمع وتحقيق :محمد مييل طريفي، دار صادر ، بيروت-لبنان، ط1، 2000، ص117

2 - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ، حكم

3 - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت-لبنان،ص127.

4 -الحكمة في نهج البلاغة ، حسن عباس نصر الله ، دار المعارف - بيروت-لبنان،1957، ص30

5 -كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، التهانوي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1999، 53/1

6 - سورة النحل: 125

3- قال تعالى: (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ)<sup>2</sup>

4- قال تعالى: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۗ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۗ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)<sup>3</sup>

### الحكمة في العصر الجاهلي

تعد الحكمة فنا من فنون الشعر العربي كانت منتشرة في القوائد الجاهلية على نحو متفرق وبمرور العصور الأدبية أصبحت الحكمة فنا مستقلا في القوائد الطوال<sup>4</sup>

وعندما نتبع شعراء الحكمة في عصر ما قبل الإسلام أو ما يسمى بالعصر الجاهلي نجد أن هناك كثير من الشعراء والخطباء جرت الحكمة على ألسنتهم وسنكتفي في هذا المبحث بالحديث عن شخصيتين كان لهما حظ وافر من الحكمة في كلامهم ، هما: زهير بن سلمى، وقس بن ساعدة الايادي.

#### أولا: زهير بن أبي سلمى

هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى ، ربيعة بن رباح، وينتهي نسبه الى عمر مزينة، وهو من الشعراء المشهورين المجيدين للشعر من شعراء الطبقة الأولى عرفت عنه الحوليات وهو من أصحاب المعلقات، تتلمذ في الشعر على الشاعر أوس بن حجر التميمي زوج أمه، وكان راوية له، وكذلك أخذ الشعر عن خال أبيه بشامه ابن الغدير ، وتتلمذ له وروى أشعاره كل من ابنه كعب، والحطيئة.

يمتاز زهير بالحكمة والتعقل والاتزان؛ فلقد عاش أكثر من ثمانين عاماً ، وعرف الحياة وخبر حلوها ومرها ، وأكتوى بنار داحس والغبراء، ورأى ماجرتة من ويلات ، فكان داعيه سلم بين الأخوة والأشقاء في مجتمع أنهكته الحروب القبلية .

1 -سورة الإسراء : 39

2 - سورة آل عمران : 48

3 -سورة النساء :113،

4 -فجر الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان، ط1، 1969، ص48.

وتلك الحكم هي نتاج التجربة والتأمل وليست نتاج فلسفة أو ثقافة أو اطلاع ، وبعضها ما يزال حيا يصلح لكل زمان . ولعل جل حكم زهير بن أبي سلمى قد أودعها في معلقته المشهورة التي مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمنتلم

فهو يقول في هذه المعلقة موردا حكما مؤثرة في نفوس سامعيها وفاتحة لهم الطريق لتعديل سلوكهم وحياتهم وفقها.

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشِ	ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامٌ <sup>1</sup>
رَأَيْتُ الْمَنَايَا حَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِيبُ	ثُمَّتُهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فِيهِرَمَ
وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ	وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمَ
وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ	يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُبْخَلُ بِفَضْلِهِ	عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَعَنَّ عَنْهُ وَيُدْمَمَ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ	يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمَ
ومن لا يزد عن حوضه بنفسه	يهدم ومن يخالق الناس يعلم
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَاهَا	وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُمَ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الرُّجَاجِ يَنْلِنُهُ	يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدَمَ
وَمَنْ يُوْفِ لَا يُدْمَمُ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبَهُ	إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّمَ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عُدُوًّا صَدِيقَهُ	وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمَ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ إِمْرِيٍّ مِنْ خَلِيقَةٍ	وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمَ
وَمَنْ يَزِلْ حَامِلًا عَلَى النَّاسِ نَفْسَهُ	وَلَا يُغْنِيهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامُ

بالنظر في موضوع هذه القصيدة نجد أن زهيراً قد جعل من نفسه قاضياً وحكماً ، وأخذ على عاتقه إصلاح مجتمعه؛ فعمد إلى الإرشاد، والنصح، ونطق الحكمة وجعل من حكمته هذه دستورا مفصلا لتهذيب النفس، وحسن التصرف والسياسة الاجتماعية البدوية؛ فقد عاش زهير أكثر من ثمانين عاماً عرف الحياة حلوها ومرها فأثرت علي شيخوخته الحكيمة الهادئة وخبرته الواسعة، وغيرته على الإصلاح القبلي بأراه الحكيمة، وزاد عليه ما سمعه من أفواه الناس، وكانت عن ثورة العاطفة، واندفاع الأهواء، ويستخلص الدروس التي توصل إلى سعادة الحياة الجاهلية .

<sup>1</sup> - ديوان زهير بن أبي سلمى ، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة ، بيروت- لبنان، ط2، 2005 ص70.

أسلوب زهير في حكمه أقرب الى الأسلوب التعليمي في هدوءه ورسانته وجفافه و تتضح تلك الرصانة في الوزن الشعري، وفي حسن اختيار الألفاظ والعبارات ، وفي الوضوح الفكري والسهولة الذاتية ، وذلك أن زهيراً يرمي إلى النفع من شعره ولا ينظم الشعر لأجل النظم فقط ، ولا لإرضاء الحاجة الشعرية فيه؛ فقد نظر زهير إلى الحياة نظرة من سئم مشاقها ومتاعبها، وغموض مستقبلها، وضبط الموت فيها ضبطاً أعمى لا تميز فيه بين كبير وصغير وصالح وشرير، وهكذا قال: سئم عند ثمرة الانحلال والصعوبات التي تعترض الانسان، وليس في نظريته تشاؤم، ولا تهرب ولا انقباض، ولكن فيها إقرار بواقع يأخذ في غير نقاش ولا جدل، ويعمل على أن يعيه الناس وعياً حقيقياً ، وأن يتصرفوا تصرفاً مستوحياً من حقيقة قاسية

إن هذه الحكمة لم تزود أن تكون في جملتها أشبه بالحقائق المجردة التي لا تبعد عن تناول الفطرة وإنتاج التجربة والمشاهدة ، وإن زهيراً أضاف الى الشعر القديم فناً آخر يكاد يكون هو المقدم فيه ومبتكره ، فلم تكن حكمة حقائق مجردة فحسب ولكنها حكم عامة قد صببت في قالب من النصح والارشاد

لم تكن لزهير ثقافة يمتاز بها بها من القوم الذي كان يعيش بينهم ، ولكنه كان يتحلى بصفات تؤهله لأن يقف موقف الحكيم الذي يؤخذ برأيه يهتدي بمشورته .

فالإنسان في نظر زهير يعد كائننا محدود الطاقات، وهو رهين بتقلبات الدهر وظروفه ، لذلك فهو يرى أن المرء عاجز على الوقوف على ما يأتي به الزمن؛ إذ يقول :-

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِيبُ      ثَمَّتُهُ وَمَنْ تُحْطِيءُ يُعَمَّرُ فِيهِمْ

والمنايا عنده ناقة عشواء ، من تضرب على غير هدى ، فمن أصابته مات ومن لم تصبه عاش حتى الكهول ، فيقول:-

وهذا التشبيه تعبير و فكرة صادقة عن سهام المنايا الطائشة التي تصيب الكبير والصغير والرفيع والوضيع ومن نظراته الحكيمة أن الحياة تحتاج الى بعض المداراة فمن لا يصانع الناس قهروه أدللاً وقتلاً ، فيقول :-

وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ \* \* \* يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ

وحكم زهير جعلته أثير المكان لدى الناس ، وخاصة لما جاء الإسلام وكما فضله بعض اللاحقين لما صاغ من حكمة ، ومن الأمثال السائد في شعره :-

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِجْهُ ... وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ؟<sup>1</sup>

فهذا البيت يصح أن يمثل به في كل وقت ،أراد أنه لاينبت الشيء إلا نفسه ولا تغرس النخل إلا في مكانها، وكذلك لا يولد الكرام الا في موضع كريم ويقول أيضا :-

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَدُبْيَانًا بَعْدَمَا  
تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ

حيث يشير الى قصة هؤلاء الذين تعطروا بعطر منشم قبل الذهاب الى الحرب ، ولم يرجعوا .  
مما سبق نستخلص أن زهيرا كانت له نظرتة في الموت والحياة والدهر ، وذلك من خلال تجاربه ومشاهده ، فلم تكن له ثقافة تميزه عن قومه ، ولكنه يتحلى بصفات تؤهله ، كما زودته الحياة بخبرة عميقة شؤون حياة العصر الجاهلي في تفكير الحكمي ، فهو أشبه بحكيم مسلم منه بحكيم جاهلي؛ لذا بات لنا حكمة مقبولة ؛ لأنها مبررة في عقولنا المتأثرة بالفكر الفلسفي الإسلامي .  
كان الشعراء في الجاهلية من أرقى الطبقات عقلا وأدقهم شعورا ، ولقد سبقوا قومهم إلى إدراك كثير من حقائق الحياة وصاغوها في شعرهم فكانت تدل على صفاء أذهانهم ، وصدق نظرتهم في الطبيعة وأحوال الناس .

وظهر في العصر الجاهلي كثير من الحكماء منهم الشعراء والخطباء ، فمن الخطباء :- قيس بن ساعد ، ولقمان بن عاد ، وأكثم بن صيفي ، ومن الشعراء الذين عرفوا بالحكمة : عدي بن زيد ، ومن ذلك قوله :-

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَن قَرِينِهِ \* \* فِكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي<sup>2</sup>

وطرفه بن العبد في قوله :-

سَتُنْبِذِي لَكَ الأَيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \* وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ديوان زهير ، ص51

<sup>2</sup> - ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه : محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965، ص106.

<sup>3</sup> - ديوان طرفة بن العبد ،شرحہ وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط2، 2002. ص29.



## ثانيا: قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب من أكبر حكماء العرب قبل الإسلام. رآه النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة يخطب الناس بسوق عكاظ وروى خطبته وعجب من حسنها وأظهر تصويبها ثم قال: «يرحم الله قسا أما إنه سيبعث يوم القيامة أمة وحده».

### حياته

هو من بني إياد أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم، في الجاهلية كان أسقف نجران، ويقال إنه كان أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه " أما بعد " وكان يذهب إلى قبصر الروم ، زائرا، فيكرمه ويعظمه وهو معدود في المعمرين ، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم ، قبل الوحي ، وراه في عكاظ.

كان يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وينتظر ظهوره ويقول: إن لله دينا خير من الدين الذي أنتم عليه. وكان النبي يترحم عليه ويقول: يحشر يوم القيامة امة واحدة.

وهو من الخطباء المجيدين والفصحاء المعدودين وهو مع ذلك شاعر ، ولعل من أشهر ما قاله في الحكمة مايلي:

قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ بِالزَّمَانِ وَلَا أَرَى	أَنَّ الزَّمَانَ يُطِيقُ نَتْفَ جَنَاحِي
فَأَرَاهُ أَسْرَعَ فِيَّ حَتَّى أَصْبَحْتُ	بِيضاً مُتَوْنُ عَوَارِضِي مِنْ أَرَاخِي
وَأَنَا الْكَبِيرُ لِنِسْبَةٍ فِي قَوْمِهِ	هَيْهَاتَ كَمْ نَاسَمْتُ مِنْ أَرَوَاحِي
صَافِحْتُ ذَا جَدَنِ وَأَدْرَكَ مَوْلِدِي	شِمْرُ بْنُ عَمْرٍو يُتَّقَى بِالرَّاحِ
وَالْقَيْلُ ذُو يَزْنٍ رَأَيْتُ مَحَلَّهُ	بِالْقَهْرِ بَنِي جَنَادِلِ وَصِفَاحِ
فَتَاكَ الزَّمَانُ بِمُلْكِ حِمِيرٍ فَتَكَةً	تَسْعَى بِكُلِّ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحِ
أَوْدَى أَبُو كَرِبٍ وَعَمَّرُو قَبْلَهُ	وَأَبَادَ مُلْكُ أُذْيَةَ الْوَضَاحِ
وَأَبَادَ أَفْرِيقِيْسَ بَعْدَ مَقَامِهِ	فِي الْمُلْكِ بِالْمُسْتَعْرِقِ الْمُجْتَاحِ
وَالصَّعْبُ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَصْبَحَ ثَاوِيًّا	بِالْحَنُوِّ بَيْنَ تَلَاعِبِ الْأَرْوَاحِ
وَعَدَا بِأَبْرَهَةَ الْمَنَارِ فَأَصْبَحَتْ	أَيَّامُهُ مَسْلُوبَةَ الْإِصْبَاحِ
أَخْنَى عَلَى صَيْفِي بِحَادِثِ صَرْفِهِ	مُسْتَأْتَرًا بِجَدِيْمَةِ الْوَضَاحِ
أَفَايْنَ عَلَكَدَةُ الْهَمَامِ وَمُلْكُهُ	أَمْ أَيْنَ عَزُّ عِبَادَةِ الْفَتَّاحِ
لَا تُمَسِّ فِي شَكِّ الْمُنُونِ أَمَا تَرَى	أَيَّامُهُ مَشْهُورَةَ الْإِضْوَاحِ
لَا تَأْمَنَنَّ مَكَرَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ	أَرْدَى الزَّمَانُ بِشَمْرَ الْوَضَاحِ
بَرَكَ الزَّمَانُ عَلَى ابْنِ هَاتِكِ عَرْشِهِ	وَعَلَى أُذْيَةَ سَالِبِ الْأَنْوَاحِ

وَعَلَى الَّذِي كَانَتْ بِمَوْكَلٍ دَارِهِ  
مِنْ بَعْدِ مُلْكِ الصِّينِ أَصْبَحَ هَالِكًا  
إِنَّ الَّذِينَ تَمَلَّكُوا وَقَدْ أَهْلَكُوا  
شَخَّصَتْ عَلَى بُعْدِ النَّوَى أَشْخَاصُهُمْ  
أَفْبَعَدَ أَمْلَاكٍ مَضَوْا مِنْ حَمِيرٍ  
مَنْ ذَا تَصَافَقَ كَفُّهُ كَفَّ الرَّدَى  
نُهِبُ الْقِيَانِ وَكُلُّ أَجْرٍ وَشَاحِ  
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ هَالِكٍ مُجْتَاحِ  
وَعَلَى الْمُقَنِّعِ حَلَّ بِالْأَبْرَاحِ  
فَرَاتَهُمُ الْأَوْهَامُ كَالْأَشْبَاحِ  
يُرْجَى الْفَلَاخُ وَلَاتَ حِينَ فَلَاحِ  
يَشْرِي الثَّقَى عَنِ بَيْعَةِ الْأَرْوَاحِ<sup>1</sup>

المبحث الثاني: أبيات الحكمة عند أبي العلاء

بالنظر المتفحص في دواوين أبي العلاء المعري نجد أن شعر الحكمة عنده متناثر بين أغراضه الشعرية التي نظم فيها فلم يفرد لحكمه قصائد خاصة بها؛ فهم قد نظم في أغراض الشعر التقليدية المعروفة غير أنه كان مقلا في غرضي الغزل والمدح؛ إذ أنه ليس من الشعراء الذين يتكسبون بالشعر، ويمكن أن نتناول حكم أبي العلاء من خلال الأغراض الشعرية التي نظم فيها على النحو الآتي :-

ومن أبيات أبي العلاء التي تحوي حكما قوله:

إِذَا مَا عَرَكَمُ حَادِثٌ فَتَحَدَّثُوا

فَإِنَّ حَدِيثَ الْقَوْمِ يُنْسِي الْمَصَائِبَا

وَحِيدُوا عَنِ الْأَشْيَاءِ خَيْفَةً عَيْبَا

فَلَمْ تُجْعَلِ اللَّذَاتُ إِلَّا نَصَائِبَا

وَمَا زَالَتْ الْأَيَّامُ وَهِيَ عَوَاقِلُ

تُسَدُّ سَهْمًا لِلْمَنِيَّةِ صَائِبَا<sup>1</sup>

حيث نراه يحث الناس على التلاقي والتحدث أثناء المصائب والنوائب فإن حديثهم يخفف عليهم وقع المصائب وينسيهم الهموم التي يعيشون فيها ، ثم يدعوهم إلى الاحتراز عن الأشياء التي تضرهم ، ثم يختم حكمته بإثبات حقيقة وهي حتمية وقوع الموت بغتة وسهام الموت لا تخطيء صاحبها إذا حان أجله وادنت منيته.

ومن الحكم الجميلة والرائعة عند أبي العلاء قوله:

لَا تَلْبَسِ الدُّنْيَا فَإِنَّ لِبَاسَهَا

سَقَمٌ وَعَرَّ الْجِسْمَ مِنْ أَثْوَابِهَا

أَنَا خَائِفٌ مِنْ شَرِّهَا مُتَوَقِّعٌ

إِكَابَهَا لَا الشُّرْبَ مِنَ أَكْوَابِهَا

<sup>1</sup> - اللزومات ، 138/1

فَلتَفَعَلِ النَّفْسُ الْجَمِيلَ لِأَنَّهُ

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ لا لِأَجْلِ ثَوَابِهَا

فِي بَيْتِهِ الْحَكْمُ الَّذِي هُوَ صَادِقٌ

فَأَتُوا بِيُوتَ الْقَوْمِ مِنْ أَبْوَابِهَا

وَتَخَالَفُ الرُّؤْسَاءِ يَشْهَدُ مُقْسِمًا

إِنَّ المَعَاشِرَ ما إِهْتَدَتْ لِصَوَابِهَا

في هذه الأبيات التي بدأت بأسلوب إنشائي طلبي يطلب الشاعر من المتلقي أن لا يركن إلى الدنيا ولا يلبس ثوبها الممتزج بالسقم والمرض، لأنها مليئة بالشر وكلها كآبة وممل ، ولا يجدي فيها إلا صنائع المعروف وإسداء الجميل، بدون طلب مقابل لذلك أو انتظار ثواب ، ثم يدعو الناس إلى إتيان البيوت من أبوابها وهذه قيمة من قيم الإسلام وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)

ومن أشهر قصائد أبي العلاء التي يغلب عليها طابع الفخر وضمنها كثيراً من الحكم الرائعة لاميته التي يقول فيها :-

ألا في سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعل

عَفَافٌ وإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ ونَائِلٌ

أعندي وقد مارستُ كلَّ حَفِيَّةٍ

يُصَدِّقُ واشٍ أو يُخَيِّبُ سَائِلٌ

أقلُّ صُدُودي أَنني لك مُبْغِضٌ

وأيسرُ هَجْرِي أَنني عنكَ راحِلٌ

إذا هَبَّتِ النُّكْبَاءُ بَيْنِي وبَيْنَكُمُ

فأهُوَنُ شيءٍ ما تَقُولُ العَوَازِلُ

تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً  
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعُلَى وَالْفَوَاضِلُ  
كَأَنِّي إِذَا طُنْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ  
رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْآنَامِ طَوَائِلُ  
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَمَنْ لَهُمْ  
بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْوِهَا مُتَكَامِلُ  
يُهِمُّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ  
وَيُنْقَلُ رِضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ  
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ  
لَأَتِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ  
وَأَغْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ  
وَأَسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلُ  
وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لِجَامُهُ  
وَنِضْوُ يَمَانٍ أَغْفَلْتُهُ الصِّيَاقِلُ  
وَإِنْ كَانَ فِي لُبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ  
فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ  
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهُ مَنْزِلِي  
عَلَى أَتْنِي بَيْنَ السَّمَاكِينِ نَازِلُ  
لَدَى مُوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدِ

وَيَقْصُرُ عَنِ إِدْرَاكِهِ الْمُتَنَاوِلِ  
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيًا  
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنُّنِّي أَنِّي جَاهِلٌ  
فَوَا عَجَبًا كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَاقِصٌ  
وَوَا أَسْفَا كَمْ يُظْهِرُ النِّقْصَ فَاضِلٌ  
وَكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا  
وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْفَرَقْدَيْنِ الْحَبَائِلُ  
يُنَافِسُ يَوْمِي فِيَّ أَمْسِي تَشْرَفًا  
وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ الْأَصَائِلُ  
وَطَالَ اعْتِرَافِي بِالزَّمَانِ وَصَرْفِهِ  
فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ تَغُولُ الْغَوَائِلُ  
فَلَوْ بَانَ عَضُدِي مَا تَأَسَّفَ مَنْكِبِي  
وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ الْأَنَامِلُ  
إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَا دَرَّ  
وَعَيْرَ فُسَاءً بِالْفَهَامَةِ بِأَقْلٍ  
وَقَالَ السُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ  
وَقَالَ الدَّجَى يَا صُبْحُ لَوْ نُكَّ حَائِلُ  
وَطَاوَلَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً  
وَفَاخَرَتْ الشُّهُبُ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ

فيا مؤتُ زُرْ إِنَّ الحِياةَ ذَمِيمَةٌ  
ويا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هازل  
وقد أَعْتَدِي واللَّيلُ يَبْكِي تأسُفًا  
على نَفْسِهِ والنَّجْمُ في العَرَبِ مائل  
بِريحِ أُعِيرتِ حافِرًا من زَبْرَجِدِ  
لها التَّبْرُ جِسْمٌ واللُّجَيْنُ خَلاخِل  
كَأَنَّ الصَّبَا أَلَقَتْ إِلَيَّ عِنانِها  
تَحُبُّ بِسَرَجِي مَرَّةً وَتُنَاقِل  
إذا اشْتاقَتِ الخَيْلُ المَناهِلَ أَعْرَضَتْ  
عنِ المَاءِ فَاشْتاقَتُ إِلَيْها المَناهِل  
ولِيَلانِ حَالٍ بِالكِواكِبِ جَوْرُهُ  
وَآخِرُ من حَلْيِ الكِواكِبِ عاِطِل  
كَأَنَّ دُجَاهُ الهَجْرِ وَالصَّبْحُ موعِدٌ  
بِوَصْلِ وِضْوَةِ الفَجْرِ حَبُّ مُماِطِل  
قَطَعْتُ بِهِ بِحْرًا يَعْبُّ عُبابُهُ  
وَلَيْسَ لَهُ إِلا التَّبَلُّجُ ساحِل  
وَيُؤنِسُنِي في قَلْبِ كُلِّ مَخوَفَةٍ  
حَلِيفُ سُرَى لَم تَصْحُ مِنْهُ الشَمائِل  
مِنَ الرِّزْجِ كَهَلُّ شابِّ مَفْرِقُ راسِهِ



وأوثقَ حتى نَهْضُهُ مُتَنَاقِلِ  
كَأَنَّ الثَّرِيَّ وَالصَّبَّاحَ يَرُوعُهَا  
أخُو سَفْطَةٍ أَوْ ظَالِعٍ مُتَحَامِلِ  
إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتِ السَّعَادَةَ لَمْ تُبْلِ  
وَإِنْ نَظَرْتَ شَزْرًا إِلَيْكَ القَبَائِلِ  
تَقْتَنُكَ عَلَى أَكْتَافِ أَبْطَالِهَا القَنَا  
وَهَابَتْكَ فِي أَغْمَادِهِنَّ المَنَاصِلِ  
وَإِنْ سَدَّدَ الأَعْدَاءُ نَحْوَكَ أَسْهُمًا  
نَكَّصْنَ عَلَى أَفْوَاقِهِنَّ المَعَابِلِ  
تَحَامَى الرِّزَايَا كُلَّ خُفٍّ وَمَنْسِمِ  
وَتَلْقَى رِدَاهُنَّ الذَّرَى وَالكَوَاهِلِ  
وَتَرْجِعُ أَعْقَابُ الرَّمَاحِ سَلِيمَةً  
وَقَدْ حُطِمَتْ فِي الدَارِعِينَ العَوَامِلِ  
فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي العِزَّ فَابْغِ تَوَسُّطًا  
فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَفْصُرُ المُنْتَطَوِّلِ  
تَوَقَّى البُدُورَ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ  
وَيُذْرِكُهَا التَّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلِ

وقد رأَت الباحثة أن تورِد هذه القصيدة كاملة لجودتها واشتمالها على كثير من الحكم النصائح التي تفيد الإنسان في حياته اليومية فنجد الشاعر قد استهل قصيدته بالحديث عن نفسه مفتخرًا

بها معددا مناقبها فيقول: إن عفا في وإقدامي وحزمي وكرمي كل ذلك من أجل إحرار المجد. ويقصد بالعفاف؛ أي الكف عما لا يحل ولا يحسن. والإقدام الشجاعة. والحزم التبصر في عواقب الأمور والتدبر في نتائجها. والنائل الكرم والسخاء، ثم يقول بعد أن خبرت الحياة وتقلباتها كبيرها وصغيرها لم أعد أصدق الواشي النمام الذي ينقل الكلام للتفريق بين الناس أو أرد سائلا يطلب ويرى الشاعر أنه فاق الزمان وأهله بفضائله، ومناقبه وهذا مني معونة الأمر جعل الناس حين رأوا تفوقه عليهم أبغضوه وحاربوه كأن لهم عنده نارا يطالبونه به.

ثم يشير إلى أن بعض الأمور التي يخفيها في ضميره تشغل الليالي؛ أي أنها لا تطيق احتمال حتى أن ما يحمله رضوى وهو جبل بالمدينة، لا يستطيع تحمل ما يحمله الشاعر من هموم ثقيلة وهو بذكائه ونباهت يستطيع أن يأتي بأشياء لا يستطيع الأقدمون الأوائل الاتيان بها على الرغم من أنه متأخر عنهم.

فهو في هذه القصيدة قد بين ووضح للمتلقي كثيرا من التجارب الحياتية التي مرت به وأودعها كثيرا من الحكم كالأعتداد بالعقل وجعله حكما يحكم بين الأشياء، وتنبيهه للناس أن الشرف والأخلاق ليست باللباس الفاخر والثياب الجميلة ثم يختم قصيدته بالتحسر على من يقبلون الموازين فيرفعون الوضع ويضعون الرفيع وذلك في قوله:

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبُخْلِ مَا دَرَّ

وَعَيَّرَ فُسًّا بِالْفَهَاهَةِ بِأَقِلِّ

وَقَالَ السُّهُيَّ لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ

وَقَالَ الدَّجِيَّ يَا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلٌ

وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً

وَفَاخَرَتِ الشُّهُبُ الحَصَى والجَنَادِلُ

فِيَا مُوتُ رُزِّ إِنَّ الحَيَاةَ دَمِيمَةٌ

وَيَا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَائِلٌ

ومن أجمل قصائد أبي العلاء وأروعها قصيدته في رثاء الفقيه الحنفي وهي قصيدة من البحر الخفيف ضمنها كثيرا من أفكاره الفلسفية وحكمه الرائعة وهي:-

عَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَعَتِقَادِي

نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْتَمِ شَادِ

وَشَيْبِيَّةُ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِي

سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ

أَبَكَّتْ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أَمْ عَنْ

نَتَّ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ

صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرُّحْ

بَ فَايِنَّ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

خَفَّفِ الْوِطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ ال

أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ

وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْ

دُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ

سِرُّ إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُويِدًا

لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُقَاتِ الْعِبَادِ

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا

ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاحِمِ الْأَضْدَادِ

وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ

فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَاءِ

فاسألِ الْفَرَقْدَيْنِ عَمَّنْ أَحْسَا  
مِنْ قَبِيلِ وَأَنسَا مِنْ بِلَادِ  
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارِ  
وَأَنَارَا لِمُدْلَجٍ فِي سَوَادِ  
تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعِ  
جَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ  
إِنَّ حُزْنَآ فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا  
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيْلَادِ  
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ  
أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ  
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا  
لِ إِلَى دَارِ شِفْوَةٍ أَوْ رَشَادِ  
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يُسْتَرِيحُ ال  
جِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السَّهَادِ  
أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عَدِ  
نَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ  
إِيهِ لِلَّهِ دَرَكُنَّ فَاَنْتُنَّ اللَّ  
لَوَاتِي تُحْسِنُ حِفْظَ الْوَدَادِ  
مَا نَسِيْتُنَّ هَالِكًا فِي الْأَوَانِ ال  
خَالِ أَوْ دَى مِنْ قَبْلِ هُلْكَ إِيَادِ  
بَيِّدَ أَنِّي لَا أَرْتَضِي مَا فَعَلْتُنَّ

نَ وَأَطْوَأُكُنَّ فِي الْأَجْيَادِ  
فَنَسَلَيْنَ وَاسْتَعْرَنَ جَمِيعاً  
مَنْ قَمِيصِ الدَّجَى ثِيَابَ حَدَادِ  
ثُمَّ عَرِّدَنَّ فِي الْمَاتِمِ وَأَنْدُبِ  
نَ بِشَجْوٍ مَعَ الْغَوَانِي الْخِرَادِ  
قَصَدَ الدَّهْرَ مِنْ أَبِي حَمَزَةَ الْأَوْ  
وَابِ مَوْلَى حِجَى وَخَدِنَ اقْتِصَادِ  
وَقَفِيهَا أَفْكَارُهُ شِدْنَ لِلنَّعِ  
مَنْ مَا لَمْ يَشِدَّهُ شَعْرُ زِيَادِ  
فَالْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحِجَازِيِّ  
يَ قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ  
وَخَطِيباً لَوْ قَامَ بَيْنَ وَحُوشِ  
عَلَّمَ الضَّارِيَاتِ بَرَّ النَّقَادِ  
رَاوِيّاً لِلْحَدِيثِ لَمْ يُخَوِّجِ الْمَعِ  
رُوفَ مَنْ صِدْقِهِ إِلَى الْأَسْنَادِ  
أَنْفَقَ الْعُمَرَ نَاسِكاً يَطْلُبُ الْعِلْمَ  
مَ بَكْشَفٍ عَنِ أَصْلِهِ وَانْتِقَادِ  
مُسْتَقِي الْكَفِّ مِنْ قَلْبِ زُجَاجِ  
بِغُرُوبِ الْبِرَاعِ مَاءِ مِدَادِ  
ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمَسُ الذَّهَبَ الْأَخِ  
مَرَ زُهْدًا فِي الْعَسَجِدِ الْمُسْتَفَادِ

وَدَّعَا أَيُّهَا الْحَفِيَّانِ ذَاكَ الشُّ  
شَخْصَ إِنَّ الْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ  
وَاعْسِلَاهُ بِالِدَّمَعِ إِنْ كَانَ طُهْرًا  
وَادْفِنَاهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْفُؤَادِ  
وَاحْبُؤَاهُ الْأَكْفَانَ مِنْ وَرَقِ الْمُصْنُ  
حَفِ كِبْرًا عَنْ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ  
وَائْتُلُوا النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَالتَّسْنِ  
بِيحِ لَا بِالنَّحِيبِ وَالتَّعْدَادِ  
أَسْفُ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادُ  
لَا يُؤَدِّي إِلَى غِنَاءِ اجْتِهَادِ  
طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزِينُ جَوَى الْحُزْنِ  
نِ إِلَى غَيْرِ لَائِقٍ بِالسَّدَادِ  
مِثْلَ مَا فَاتَتْ الصَّلَاةُ سُلَيْمًا  
نَ فَأَنْحَى عَلَى رِقَابِ الْجِيَادِ  
وَهُوَ مَنْ سَخَّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ  
نُ بِمَا صَحَّ مِنْ شَهَادَةِ صَادِ  
خَافَ غَدْرَ الْأَنَامِ فَاسْتَوَدَعَ الرَّيِّ  
حَ سَلِيلًا تَغْذُوهُ دَرَّ الْعِهَادِ  
وَتَوَخَّى لَهُ النَّجَاةَ وَقَدَّ أَيِّ  
فَنَ أَنَّ الْجِمَامَ بِالْمِرْصَادِ  
فَرَمْتُهُ بِهِ عَلَى جَانِبِ الْكُرِّ

سَيِّ أُمُّ اللُّهُيْمِ أُخْتُ النَّادِ  
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي  
يَا جَدِيرًا مَنِّي بِحُسْنِ اقْتِنَادِ  
قَدْ أَقَرَّ الطَّبِيبُ عَنْكَ بِعَجْزِ  
وَتَقَضَى تَرَدُّدُ الْعَوَادِ  
وَأَنْتَهَى الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشَعَرَ الْوَجْجُ  
دُبَانٌ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ  
هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمِ  
رِيضٍ وَيْحٌ لِأَعْيُنِ الْهَجَادِ  
أَنْتَ مِنْ أُسْرَةٍ مَضَوْا غَيْرَ مَعْرُورِ  
رِيْنٍ مِنْ عَيْشَةٍ بِذَاتِ ضِمَامِ  
لَا يُعَيِّرُكُمْ الصَّعِيدُ وَكُونُوا  
فِيهِ مِثْلَ السِّيُوفِ فِي الْأَغْمَادِ  
فَعَزِيزٌ عَلَيَّ خَلْطُ اللَّيَالِي  
رَمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرَمِّ الْهُوَادِي  
كُنْتَ خَلَّ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ ال  
بَيْنَ وَاقَفْتَ رَأْيُهُ فِي الْمُرَادِ  
وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوْ  
وَلِ مِنْ شِيْمَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ  
وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لِي  
تَاكَ أَبْلَيْتَهُ مَعَ الْأُنْدَادِ

فأذهباً خيراً ذاهبين حقيقي  
ن بسفياً روائحٍ وغوادٍ  
ومراتٍ لو أنهنّ دموعُ  
لمحورن السطورَ في الإنشادِ  
زحلّ أشرف الكواكب داراً  
من لقاء الردى على ميعادِ  
ولنار المريخ من حدثان الدّه  
ر مطفٍ وإن علّت في اتقادِ  
والثرياً رهينةً بافتراق الش  
شمّل حتى تُعدّ في الأفرادِ  
فليكن للمحسن الأجل المم  
دود رغماً لأنف الحسادِ  
وليطب عن أخيه نفساً وأبنا  
ء أخيه جرائح الأكبادِ  
وإذا البحرُ غاضَ عني ولم أزل  
و فلا ريّ بادخار الثمادِ  
كلُّ بيتٍ للهدم ما تبتني الور  
قاء والسيد الرفيع العمادِ  
والفتى طاعنٌ ويكفيه ظلُّ الس  
سدرٍ ضرب الأطناب والأوتادِ  
بان أمرُ الإله واختلف النّا



سُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ  
وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ  
حَيَوَانٌ مُسْتَحَدَّثٌ مِنْ جَمَادٍ  
وَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مَنْ لَيْسَ يَعْتَرُ  
رُ بِكُؤُنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

:يستهل الشاعر قصيدته استهلالاً يحمل طابع اليأس والتشاؤم، فتراه يقول:  
وإن صوت الناعي الذي يحمل نبأ إن نوح الباكي يستوي -في اعتقاده- مع غناء الشادي الفرح  
الموت إليه لا يختلف عنده عن صوت البشير الذي يزف إليه نبأ سارا كذلك يستوي لديه بكاء  
الحمامة وهديلها على غصنها المتمايل لنا و غضارة، فكل هذه مظاهر لا تجدي في تغيير وجه  
الحياة، ولا تخفف من وطأتها القاسية، و كلها تتراءى في نظره متماثلة مستوية والأبيات معظمها  
أساليب خبرية تقصد إلى إظهار التشاؤم، والهمزة في البيت الثالث للتسوية بين البكاء والغناء،  
وهو بهذا يسير في إطار البيتين السابقين له. وترى في الأبيات مطابقات نابعة من طبيعة  
الموقف ، يجمع فيها أبو العلاء بين: "نوح الباكي" و "ترنم الشادي

ونلاحظ أن الشاعر يعيش في خواطر حزينة، تنسجم مع ما عبر عنه من استواء مظاهر الفرح  
والحزن لديه، فيقول: هذه قبور موتانا تزحم الأرض، فأين هي -إذا- قبور من سبقونا في تلك  
الآماد المتطاولة منذ قديم الزمان؟ إن الأرض ليست إلا مقبرة كبيرة من عهد عاد، وإن ترابها ما  
هو إلا بقايا هذه الأجساد التي طال عليها الأمد، فما أحرانا -ونحن ننقل الخطو على وجه  
الأرض الذي كونه هذه الأجساد- أن نسير في بطنه وتمه  
و قبيح بنا -و إن طال الزمان على هذا الرفات- أن نمتهنه؛ لأنه رفات آبائنا وأجدادنا. بل جدير  
بنا أن ننطلق في الهواء إن استطعنا حتى لا نطأه بأقدامنا، لا أن نمشي فوق الرفات مشية الزهو  
والاختيال.

ومن عجائب هذه الحياة، ومن سخرياتها الغريبة أن اللحد الواحد قد يضم أشخاصا تباينت  
طبائعهم واختلفت أقدارهم، بين غني وفقير، وصالح وطالح، وعالم وجاهل، يدخلونه جميعا وهو  
ساخر بهذا الالتقاء بين المتناقضين الذين عجزت الدنيا أن تؤلف بينهم  
وليس من شك أن الحياة التي تحمل في طبيعتها هذه الآلام جميعا، حياة كلها في نظر الشاعر  
تعب وعناء، ومن العجيب أن يتعلق بها الناس مع ذلك، ويتهافتوا عليها

وقد عبر أبو العلاء عن تشاؤمه، ونظرته القائمة إلى الحياة في أساليب تتنوع بين الإنشاء والخبر، فالإنشاء مثل الاستفهام والتعجب، وأسلوب الأمر في منها يحمل معنى النصح، ويعبر عما تحمل نفس أبي العلاء من وفاء .

أما الأسلوب الخبري فنجد في قوله مثلاً: رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزامم الأضداد فيحمل معنى السخرية بالحياة والأحياء، كما يحمل الخبر في البيت الأخير فكرة الشاعر عن الحياة، ويهون أمرها في النفوس. وأنت تلاحظ في الأبيات صورة بلاغية ساخرة، جاءت على سبيل الاستعارة المكنية، هي ضحك القبر من تزامم الأضداد. كما تلاحظ أن ألفاظ الأبيات تنثر النفس بما فيها من إحياءات قوية مؤثرة.

: ثم بعد ذلك يهدأ الشاعر، ويسترد أنفاسه قليل، فيثوب إلى الدين يتلمس فيه راحة نفسه. فيؤكد ما يقرره من بقاء الإنسان بعد الموت، وخطأ هؤلاء الذين ينكرون البعث والحياة الآخرة ويرى ما يراه الدين، من أن الناس خلقوا للبقاء، وأن الموت ما هو إلا رحلة يقطعها الإنسان إلى دار الخلود والجزاء، وهناك يسعد الصالحون، ويشقى الآثمون وليست الحياة في رأيه إلا فترة من سهاد مؤرق، أما الموت فهو الضجعة التي يستريح فيها الجسم ويخلد إلى الراحة الأبدية

و يلوذ الشاعر بالدين لينقذه من حيرته وقلقه، فيقرر البعث وينعى على من ينكرونه، وهو يقدم فكرته في أسلوب خبري تقريرى، يلائم الحقائق التي يعبر عنها وقد يعتمد في عرض فكرته على بعض الصور البلاغية، كالكناية عن الحياة الدنيا بقوله: "دار أعمال" وعن الآخرة بقوله: "دار شقوة أو رشاد" و كتشبيهه الموت بالنوم الهائئ المريح، والحياة، بالسهر المؤرق.

:وأخيرا ينتقل الشاعر إلى رثاء صاحبه أبي حمزة، فيقول إن الموت أصاب منه رجلا ورعا، "ومفكراً حكيماً، ومجتهداً محصاً في أمور الدين، فهو الفقيه النقي، الذي دعم بعلمه مذهب أبي حنيفة، وشاد له مجداً أكثر مما شاد للنعمان بن المنذر أمير الحيرة شاعره النابغة الذبياني بمدائحه و اعتذاراته وهو المحدث المدقق، الذي كان في رواية الحديث حجة تؤخذ أقواله في مأخذ الثقة واليقين. قضى هذا الفقيه عمره في طلب العلم، و السعي وراء الحقيقة، في نسك المتعبد الزاهد الذي لا يرجو مالا ولا جاهاً، ثم نزل به مرض شديد، أوفي به على النهاية التي أعجزت الطبيب، وقضت على تردد العواد، بعد أن فقدوا الأمل في شفائه

وحانت النهاية، وبلغ اليأس أقصى مداه، وأحس الناس بقرب اللحظة الأخيرة، وشعروا أن لقاءهم للفقيد. هو آخر لقاء، وأن موعدهم معه، بعد ذلك، لن يكون إلا يوم الموعد الأكبر يوم الدين

والشاعر في الأبيات يعبر عن فضل الفقيد وما تميز به، من تقوى، وفقه، و زهادة، وعلم واجتهاد، و هي صفات ترسم إلى حد بعيد شخصيته واضحة جلية و في البيت الرابع عشر إشارة تاريخية، ربط بها الشاعر بين النعمان بن المنذر، وما أسداه. النابغة إليه، وبين أبي حنيفة النعمان وما أداه الفقيد من خدمة لمذهبه. "و في البيت السابع عشر كناية عن انتهاء الأجل، وذلك في قوله: "وتقضى تردد العواد و في البيت الأخير تحس استسلام الشاعر لحكم القضاء والقدر في هذا الجناس الذي عبر به أبلغ تعبير عن عدم اللقاء حتى تقوم الساعة، وذلك في قوله: "لا معاد حتى المعاد

## مصادر حكمة أبي العلاء المعري

### 1- القرآن الكريم

استمد أبو العلاء المعري كثيراً من حكمه من القرآن الكريم ومعانيه ومن ذلك قوله:

ولست بمدرک أمراً قريباً إذا ما خالقي عني زواه

بمعرفة وفهم معنى هذا البيت نجد أبا العلاء قد أخذ معناه من الآيات القرآنية التي تثبت علم الغيب لله سبحانه وتعالى دون سواه ومن تلك الآيات قوله تعالى: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا<sup>1</sup>**

ومن أبياته التي كان قد استمدها من معاني القرآن الكريم قوله:

إذا قال فيك الناس ما لا تحبه فصبراً يفيء ود العدو إلیکا<sup>2</sup>

وقد نطقوا مينا على الله وافتروا فمالهم لا يفترون إلیکا

نلاحظ أن قوله: فصبراً يفيء ود العدو إلیکا دعوة إلى مقابلة الإساءة بالإحسان فإن الناس لم يستثنوا أحداً من ألسنتهم وأقوالهم حتى رب العالمين جل شأنه لم يسلم من ألسنتهم فكيف بغيره

1 - سورة الجن، 26

2 - اللزوميات 2/356

وهذا المعنى مأخوذ من معنى الآية الكريمة في قوله تعالى: ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ<sup>1</sup>

ومن أبياته كذلك التي أخذ معناها من القرآن الكريم قوله:

إذا كنت لا تستطيع دفع صغيرة أمت ولا تستطيع دفع كبير

فسلم إلى الله المقادير راضيا ولا تسألن بالأمر غير خبير<sup>2</sup>

فقوله: ولا تسألن بالأمر غير خبير مستمد من قوله تعالى:

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا<sup>3</sup>

وقوله تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>4</sup>

ومن ذلك أيضا قوله:

إذا لم تكن دنياك دار إقامة فمالك تبنيتها بناء مقيم<sup>5</sup>

وهذا البيت مستمد من قوله تعالى:

(وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ وإنَّ الدارَ الآخرةَ لَهِيَ الحيوانُ لو كانوا يعلمون<sup>6</sup>)

وكذلك قوله:

مضت القرون وتمضي بعدها أمم والسر خاف إلى أن ينفخ الصور

والناس مثل النبت يظهره ويكون أول هلكه الإظهار

فقوله والناس مثل النبت مأخوذ من قوله تعالى: وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا}

1 - سورة فصلت ، 34.

2 - اللزوميات، ص 189

3 - سورة الفرقان، 59

4 - سورة النحل: 43

5 - اللزوميات 147/3

6 - سورة العنكبوت : 64

## 2- الحديث الشريف

فليحسن النية من بعدهم فالناس يجزون على مانوا

وهذا البيت مأخوذ عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، «قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه

لسانك عقرب فإذا أصابت سواك فأنت أول من تصيب

أثمت بما جنته ومن شكاه وفي لك من شكيتك نصيب<sup>1</sup>

فقوله هذا مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين أخذ بلسانه، قال: كف عليك هذا. فقلت: يا نبي الله وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (تكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم، إلا حصائد ألسنته)

## 3- الشعر العربي

لعل أكثر شاعر تأثر به أبو العلاء المعري هو المتنبي غمن هو المتنبي وما مصدر

حكمته

مصدر حكمة المتنبي نفسه وتجاريه وإلهامه ، لا دراسة الفلسفة ، فلم يكن فيلسوفا بالمعنى المعروف ، وان استقى أحيانا بعض حكمه من الفلسفة اليونانية .

وفلسفته على الاجمال ، فلسفة الأمل الطامح المؤمن بالقوة ، والأمل الخائب المثقل والثورة والتشاؤم ، وقد صرف همه إلى الانسان في حياته وأخلاقه وعواطفه وعلاقته بالناس ، فجال فكره بن الحياة والموت ، والقوة والضعف ، واللذة والألم .

وتناولت حكمه سنن الحياة وصروفها ، مهمة مصادرها ومصايرها ، فالحياة ساحة حرب وصراع من أجل البقاء وهي دار فناء ، والناس فيها أفواج إثر أفواج ، بين الوجود والفناء:-

<sup>1</sup> - شرح اللزومات ، 123/1

يُذْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي      أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي<sup>1</sup>

وأما الموت فأمر لا بد منه ، لا ينبغي أن نجزع أمامه .

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا      نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرَيْهِ

ويدم الزمان وأهله فيقول :-

أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ      فَأَعْلَمُهُمْ فَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ<sup>2</sup>

ويقول :-

فَلَمْ أَرَ وَدَّهُمْ إِلَّا خِدَاعًا      وَلَمْ أَرَ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا

وهو يرى أن العاقل هو الذي يعتمد على نفسه ، ويطلب المجد في اسمى اشكاله :-

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ      فَلَا تَقْتَعِ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

جاءت حكم المتنبي في الجانب الأكبر منها ، فيها إنسانية رفيعة تسمو الى مرتبة الشعر الألد ، وقد صاغها صياغة عذبة بليغة ، تنبض حياة وقوة ، فكان من أعظم شعراء العربية أصالة ، إذ عبر عن طموحه ، واعتزاز بعروبتة ، وسوء ظنه بأهل زمانه .

وهو في أعماق نفسه إنسان رقيق العواطف، ينشد السلام والحب والأمان :-

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً      رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانًا

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ      نَتَّعَادِيَ فِيهِ وَأَنْ نَتَّفَانِيَ<sup>3</sup>

لقد كانت حكم المتنبي نواة لفلسفة أبي ال علاء أكسبها المعري اتساعا واسهابا ، ولكنه افقدها روعة أصلها .

المتنبي شاعر العروبة :-

صحب المتنبي العرب في البادية أثنا صباه ، وظل سحابه حياته بدوي النزعة ،خالص العروبة ،يوثر الجنس العربي ،وقد أدرك وأنمى في ذاته أظهر شمائل النفس العربية كالسخاء والأنفة، والشجاعة، والطموح إلى السيادة والمجد .

<sup>1</sup> - ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت- لبنان ، 1983 ،ص234

<sup>2</sup> - ديوان المتنبي ، ص198

<sup>3</sup> ديوان المتنبي ، ص484

وقد ظهرت عرويته في نواح متعددة من شعره ،فتسمعه يحفز العرب على جمع كلمتهم ،وضرورة استيلائهم على الحكم ،وإعادة الملك العربي الى صفائه وصحته :

وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا يُفْلِحُ عَرَبٌ مُلُوكُهَا عَجْمٌ<sup>1</sup>

وكان أجمل شعر قاله في تمجيد العرب مانظمه عن سيف الدولة والموسومة ((السفيات)) وكانت أعنف دعواته إلى تمجيد العروبة تلك التي نادى بها بعد إخفاقه لدى كارفور :

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوسِهِمْ \* وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَرَمُ

شهرة المتنبي وخلوده :-

نال شعر المتنبي شهرة وسيرورة منذ ظهوره حتى اليوم ، ويرجع ذلك إلى عاملين هما :-

1- شخصيته :-

استرعت شخصية المتنبي بعظمتها الفذة وجسامتها الضخمة انتباه الناس ، بما فيها من خلال عظمة بالغة في السمو من جهة مساوئ مغرقة في التعسف . ولعل كلمة ابن رشيق :  
ثم جاء المتنبي وملاء الدنيا وشغل الناس تعبر عن ذلك أحسن تعبير .

وقد كان للمتنبي أشد التأثير على أبي العلاء المعري فقد كان المعري معجبا به أيما إعجاب بل عده استأذه ومعلمه ، وتحيز له في كثير من المواقف ، حتى أنه شرح ديوان المتنبي وسماه معجز أحمد ، وجعل نفسه المقصود بقول المتنبي

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وسمعت كلماتي من به صمم

كما أنه تتبع خطى المتنبي في ألفاظه ومعانيه وخاصة في أبيات الحكمة ومن ذلك قوله

رب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تراحم الأضداد

ودفين على بقايا دفين في سالف الأزمان والآباد

نجد هذين البيتين يتضمنان نفس المعنى في قول المتنبي

يدفن بعضنا بعضا ويمشي أواخرنا على هام الأول

<sup>1</sup> - ديوان المتنبي ، ص93

فهناك تناص واضح بين المتنبي والمعري والمعنى واضح يمثل حكمة مفادها أن الحياة قصيرة وأن الموت سبيل جميع المخلوقات فالبقاء لله وحده.

وغير ذلك كثير من الحكم التي كان مصدرها شعر المتنبي لا يتسع المجال هنا لذكره



## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

في الواقع إن لشعر الحكمة وقع كبير وأثر واضح في النفس البشرية ؛ لأنه يهذب النفس ويقوم السلوك ، وقد كان ابو العلاء المعري مثالا بارزا لشعراء الحكمة ؛ فقد صاغ لنا خبرته وتجربته في الحياة حكما رائعة تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل ويستفيد منها المتلقي في حركة حياته ومستقبل أيامه ، وبالنظر في حكم أبي العلاء نجدها رصينة راقية تتم عن عقل مستنير ودراية كبير بأحوال الدنيا وتقلباتها، ولقد كانت حكم أبي العلاء المعري في كثير منها مستقاة من مصادر مختلفة أهمها : القرآن الكريم حيث نجد أبيات كثيرة استمد معانيها من بعض الآيات القرآنية ، ومن مصادره كذلك الحديث الشريف فهو دارس له ملم به يعرف صحيحه وضعيفه وموضوعه فاستفاد منه لصياغة بعض الحكم

ومن أهم مصادر أبي العلاء أستاذه الذي شرح ديوانه أبو الطيب المتنبي؛ فقد أخذ عنه الكثير والكثير فقلده في كثير من معانيه وألفاظه

ومهما يكن الأمر فإن الشاعر أبا العلاء المعري قد استحق بجدارة أن يلقب حكيم المعرفة.

## فهرس المصادر والمراجع

- 1-الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط5، 2002.
- 2-إنباه الرواة على أنباه الرواة أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1987.
- 3- جديد رسالة الغفران ، عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطي،
- 4-الحكمة في نهج البلاغة ، حسن عباس نصر الله ، دار المعارف - بيروت-لبنان،1957،
- 5 -الديوان في الأدب والنقد ،عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
- 6 - ديوان زهير بن أبي سلمى ، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة ، بيروت-لبنان، ط2، 2005.
- 8- ديوان طرفة بن العبد ،شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط2، 2002..
- 9 - ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه : محمد جبار المعبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965.
- 10 - ديوان المتبني ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان، 1983 ،ص234
- 11 - ديوان النمر بن تولب ،جمع وتحقيق :محمد مبييل طريفي، دار صادر ، بيروت-لبنان، ط1، 2000،
- 12-رهين المحبسين ، أبو ابو العلاء المعري، أحمد الطويلي، دار سلامة للنشر والتوزيع ، تونس، 1981.
- 13 - سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1996.
- 14-شرح اللزوميات ،أبو العلاء المعري، تح: سيدة حامد، منير المدني ، زينب القوصي، وفاء الأعصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 15-فجر الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان، ط1، 1969.
- 16 -كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ، التهانوي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1999
- 17-لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ، حكم
- 18 - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت-لبنان.

10 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار  
صادر، بيروت، 1968.